

بعد النصر - محفوظات - كلمات في مناسبات : 22 - حوار خاص مع الدكتور محمد راتب النابلسي- كتب بواسطة د. طه ياسين



2026-01-05

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسط تحولاتٍ عاصفة، وإرثٍ ثقيلٍ من المعاناة، أجرى مدير تحرير مجلة إشرافات حواراً اصرياً خاصاً مع الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي، مقارباً بالحظة مفصليّة في تاريخ سورية، بين قراءةٍ واعيةٍ للواقع، واستشعارٍ لمسؤولية المرحلة...

**1- فضيلة الشيخ، سيكون سؤالى الأول حول غيابكم عن الظهور والدروس، لاسيما عقب التحرير المبارك.**

في الحقيقة، أنا بينكم ومع إخوتي الأكارم، وغيابي عن التدريس أحياناً وفعاليات العامة الإسلامية يتعلّق بما تفرضه الظروف الصحية والموضوعية على رجل تجاوز الثمانين من السنين.

ثم إنني، وب توفيق الله، لدى مجموعة كبيرة من الدروس والمحاضرات والكتب المسجلة، متاحة على الإنترنٌت وفي التطبيقات. فضلاً عن ذلك، فقد كنت وما زلت أؤمن بأهمية فريق العمل، واليوم والله الحمد يقوم على العمل والخطابة والتدريس إخوة كرام، والله الحمد والمنة.

**2- ماتقييمكم للخطاب الإسلامي في سوريا اليوم؟**

بدايةً، فإنّ دين الله ثابتٌ ومحفوظ، ومانحتاجه هو نزع نوابت السوء التي أليست بالدين، وكذلك ضبط تدين الناس بحيث يكون على الوجه الذي أنزله الله ويرتضيه. أما الخطاب الإسلامي، فليس لدينا خطابٌ واحدٌ، بل خطابات متعددة حسب توجّه صاحب الخطاب والمدرسة التي ينتمي إليها. كما أن عموم الخطاب الإسلامي ما زال يعاني إما من تعقيّدات لا يفهمها كثيرون من الناس، أو من سطحية لا تنهض بأهله، بل تُنطّفهم وتُغّرّفهم في جزئيات مملةً ومكرّرةً، لن تحدث فارقاً في سلوكهم ومعاملاتهم، وهذا بما ينبع على الواقع في معظم العالم الإسلامي.

**3- في سوريا اليوم تيارات ومشارب وتصنيفات إسلامية، وقد تتناحر فيما بينها على الرغم من أنها تصدر عن مشكاة واحدة، فما الذي أوصلنا إلى هذا؟ إنه المهوى... وأقول دائمًا: إذا كان الهدف واحداً، والطريق واحدةً، فاللقاء حتى، فإذا لم يتم اللقاء، فأخذ الأطراف على منهج غير صحيح؛ أي: المهوى الذي عنيت. الأمر الآخر؛ وهو من الآفات التي تصيب بعض طلبة العلم، لا وهو كبر العلم، وهذا واقع، والإصرار على المرجوح، لكي لا تنتقص مكانة العالم أمام الأتباع. الأمر اليوم يشوبه كثير من الخلل.**

**4- في زيارتكم الأولى للرئيس أحمد الشرع في الأيام الأولى للتحرير شعر الناس بكثير من الارتياب إلى هذه الزيارة، وقد أعطت انطباعاً إيجابياً عن القيادة السورية الجديدة، فكيف تقيّمون تلك الزيارة؟**

نعم، كانت الزيارة في عنوانها تعبيراً عن الفرح بانتصار الثورة السورية وسقوط النظام البائد، وتأييدها للرئيس الشرع، وللثوار الذين مكّنهم الله من إزالة أعنى نظام مجرم عرفه التاريخ الحديث، والسيطرة على البلاد بأقلّ الخسائر البشرية، وقد تعامل مع الجميع بحكمة المسلم الوعي ورجل الدولة الواثق من خطواته. أما الرئيس الشرع، فهو دمث الأخلاق، متواضع الطبع، وفي نبرته حزم القيادة. إذا استمعت إليه وهو يتكلّم بصدقٍ وعفوية، ستجد نفسك أمام رجلٍ منا ونحن منه، هذا ما أحّس به، والله حسيبيه.

**5- قلتم في تسجيل سابق إن دعم الناس للرئيس الشرع فرض عين، وقد أنكر عليكم كثيرون هذا الكلام، فما هو قصدكم؟** قصدت يومها دعم تجربة الحكم الوليدة، وكنت وقتها قد خرّجت للتو من لقاءٍ تشاوري حول الحوار الوطني، وقد غصَّ اللقاء بالحضور، كما غصَّ أيضاً بالبيانات الوطنية، وهذا كان مؤلماً وللكثيرين من أبناء الوطن الشرفاء. أما كلمة فرض عين فهي على سبيل المجاز، وأنا لم أقصد ها الفرد بعينه، بل للتجربة الجديدة التي يجب أن تحافظ عليها، طالما أنها تسعى للإصلاح والصلاح.

**6- بعد عام على التحرير تقييماً كيف تقيّمون المشهد السوري بكافة نواحيه؟** من الناحية الاجتماعية؛ فإن أربعة عشرَ عاماً من القتل والتنكيل والهدم والاعتقال والإرهاب، والإخفاء القسري والنزوح واللجوء، تركت تَبَاتٍ واضحة في بنية الإنسان السوري، ليس أقلّها تفكُّك الأسرة، ثم الفقر الذي أنهك الناس وجعلهم بلا مستقبل واضح. وهذا يتطلّب جهوداً كبيرة من برامج تأهيل وحملات توعية، وأنا أنظر إلى المستقبل بتفاؤل كبير بإذن الله.

**7- ماذا عن الناحية الاقتصادية؟**

من خلال ما شاهدته وسمعته على مدى هذا العام تقريباً، هناك سعيٌ دؤوب للإصلاح السياسي والاقتصادي والخدمي، وهناك بعض الخلل في بعض ما يصدر من قرارات، وما يصلح منها للحالة السورية. وهذه نتيجة طبيعية لتجربة وليدة لدولة تتبدل توجهاتها كلّياً، وتسعى إلى النهوض بموارده شبه مدعومة. وأي جهدٍ يبذل في سبيل النهوض الاقتصادي هو محل تقدير. لكن من المهم جدّاً التركيز على التأهيل والتدريب للإنسان السوري، لتصبح فرص العمل مُحدّبة لأطراف العملية الإنتاجية، وفتح صناديق لرعاية التعليم والتأهيل، ودعم الأسر المتضرّرة؛ لتمكينها من الانخراط في العمل وتحويلها إلى منتجة، لتجاوز الأزمات التي مرّت بها.

#### 8- ما تقولون في الناحية الدينية؟

أعتقد أن المجتمع في سوريا أصيل ومتدين، ويعنيه أمر دينه بشكل جيد، ومن المؤكّد أنّ المشهد الإسلامي على الصعيد الشعبي العام لا تظهر فيه انقسامات حادة، لعدة أسباب، منها طبيعة السوريين الحضريّة، ويضاف إليها المجاملة وعدم الصدام. لكن هناك، لا شك، استقطاب حادٌ وتبين فكري فيما بين المدارس، وتحديداً السلفية والأشاعرة، وهذا ظهر عقب التحرير بشكل واضح، وفي بعض الأحيان بشكل فجّ وغير مقبول. وخطابي للطرفين: لم ولن يتمكن طرف من إلغاء الآخر، وكل الجهود التي بذلت عبر مئات السنين في محاولة لإثبات أحقيّة فريق على آخر، لم تتصدّسو فرقّةٍ وخلافٍ لا يقبله الله ورسوله، ناهيك عن أن هذا يبعد الناس عن دينهم وعن مساجدهم، ويقرّبهم من دعاء السوء الذين شدّوا، فضلّوا وأضلّوا. كما أنه لا بد للعلماء والدعاة الربانيين من أن يلتقاوا، ولا بدّ لهذا الجسم الإسلامي من أن يتماسك، علينا أن ننزع الأنماط، وجماعة فلان وفلان، ونبذ الخلاف، وننهي مفهوم الجماعات؛ لنعي مفهوم الانتماء لأمة الإسلام، وهذا ليس اختياراً، بل مطلب إلزامي، إن لم نسع لتحقيقه فسيكون للباطل جولات مؤثرة سلباً في المجتمع المسلم. أما على الصعيد الإداري للأوقاف، فهذا - والله الحمد، وبحسب ما نسمع ونرى - هناك تحولٌ حقيقي في دور هذه الوزارة التي أنهكتها النهض والمحسوبيات والفساد لعقودٍ خلت. أتمنى أن تختصّ بإدارة شؤون الأوقاف والمساجد، وتشيّع هيئة مستقلة للدعوة والإرشاد، تتولّى مهام الخطباء والدعاة والإفتاء، يقوم على إدارتها أفضضل من أهل العلم والدعاة، وتتفرّغ لوضع معايير شفافة لإدارة المنابر والعمل الدعوي برمته. وهذا الملف إنْ صَلَحَ، وصعد المنابر رجالٌ لديهم العلم والوعي والحكمة، فهذا يحدث فارقاً كبيراً في سلوك الناس ومعاشرهم، ويساعد على بناء المسلم الغيور على أرضه، والدّؤوب على بناء ما يحقق لوطنه من المكتسبات.

#### 9- فضيلة الشيخ أنت عضو في مجلس الإفتاء السوري، فما دور هذا المجلس وكيف تقيّمون نشاطه حتى الآن؟

نعم، تشرّفت بأن أكون عضواً في هذا المجلس مع السادة الأفاضل من أهل العلم. المجلس يجب أن يتولّ شؤون الفتوى، والنظر في المستجدّات والنوازل، ومراقبة سلامته القوانين الصادرة مما يعارض الشرعية ويلزّمها الاجتهاد. كما سيكون له دورٌ في تقديم الاستشارات في السياسة الشرعية. هذا ما يفترض أن يكون الدور المنطوبه، لذا فإنّه من المبكر تقييم أداء المجلس حالياً.

#### 10- مخاطبكم لباقي الطوائف في سوريا، فكم أتعلّم كان هناك قلّاق مؤلمة أشعرتها بالخوف؟

أقول: إن سورياً لكل السوريين، وهم جميعاً شرّكاء في هذا الوطن، ومتساوون في الحقوق والواجبات، وقد كانوا كذلك عبر تاريخهم، حتى نكنا بالنظام البائد الذي كرس طغيانه من خلال الممارسة الطائفية المقيمة. إن حقوق الجميع مصانة: دماؤهم وأعراضهم وأموالهم وكافة حقوقهم. هذا هو ديننا، وهذه هي ثقافتنا، وذاك هو تاريخنا. فلا تنتظر والرأي هنا أو هناك، فإن المتربيّصين لن ينفعوك إلا في حدود الدور الذي سيُطلب منكم، ثم ينقلّوا عليكم. إن الثابت الأساسي الذي يجمعنا هو الانتماء إلى الوطن، والانصياع للقانون. من قتل وأجرم وعدّب، لا بد من أن يُحاكم مهما كانت طائفته. ومن سرق ونهب وابتزّ الناس، لا بد من أن يُحاكم مهما كانت طائفته. ومن أيد وحرّض وبارك الإجرام، لا بد من أن يُحاكم مهما كانت طائفته. المطلوب منّا نحن أبناء سورياً: عدم حماية أحد أو تغطية أحد من هؤلاء المجرمين. فلنخرج من هذه الدعوى المقيمة: 'حماية الأقليات'، والتي ابتكرها النظام البائد لاستخدام بعض الأقليات، وقد نجح في استخدام فئة محدّدة منهم بشكل كبير لعقود، ونال السوريون مانلوه من شرورهم. ولا تُنكر أنه استخدم أيضاً جزءاً من الأكثريّة وبباقي الطوائف السوريّة الأخرى. إن أهل السنة في سوريا هم الأكثريّة العددية، ويلتقون مع شركائهم في الوطن على مانكرته: الانتماء إلى الوطن، والانصياع لقانون الذي يضمن الحقوق ويحقق الأمان. والسوّريون، بعد هذه العقود من الظلم والقتل والفساد والإفساد، من حكم طائفي مقيّم استخدم الجميع وأفسد الجميع، لن يمكننا طائفياً بغيره، أقلياً أو أكثرياً، من الوصول إلى الحكم مرةً أخرى، مهمّادعه الغرب أو الشرق، وهذا - فيما يبدوا لي - مُحال بإذن الله.

#### 11- فضيلة الشيخ، ما تعليقكم على الحراك السياسي الذي تقوم به السلطة اليوم، وهل لديكم تحوّفات تجاه بعض الملفات، وهل هناك ثقة بسلامة هذا الحراك؟

أولاً، هذا الحراك جيد ومطلوب، ولا بد منه لدولة تعيش في وسطٍ مأزوم منذ عقود، لا سيما إقامة أفضل العلاقات مع دول الإقليم والعالم. ونحن نبارك كلّ جهد يصبُّ في مصلحة الأمة والوطن. إن المشهد للمراقب يدعو للتفاؤل بالتأكيد إن صدقت النوايا... لكنني، على الصعيد السياسي والاقتصادي، وعلى مدى عقود متطلولة، لم أر اتفاقاً رعاه أو نظمّه الغرب مع العالم الإسلامي وكان في صالح المسلمين. عقود طويلة مضت، ونحن نتدرج من ذرّك إلى ذرّك أسفلاً منه، على صعيد التنمية والاقتصاد والتعليم. وكل ذلك بسبب حكم وضعهم الغرب، استخدمو القومية والاشتراكية والصّمود والمقاومة، وحتى الدين، لتبرير النكسات والهزائم، ولتبرير الاستبداد والعجز الاقتصادي ونهب مقدّرات الشعوب. وهم أبعد ما يمكنون عن الدين والقومية والمقاومة. وقد تبيّن للناس أن كلّ تلك الشعارات ما استخدمت إلا ضدّ الشعوب العربية المسلمة... وما زالت. ونحن اليوم أمام تجربة استثنائية بكل تفاصيلها ورجالها، ونطمح معهم وبهم إلى نهضة علمية واقتصادية وعسكرية حقيقة، تمكّنا من تأييل الحرية الحقيقية: حرية القبول والرفض، حرية التفكير لا حرية التقليد، حرية بناء القوة لا حرية إدارتها القوة، حرية النديّة لا حرية المفاسدة لا حرية المجاملة. ونسأل الله التمكين وفق مرضاته.

#### 12- هناك سؤال حول انحراف سوريا في اتفاق محاربة داعش، فما هو تعليقكم؟

داعش ليست جماعة متطرفة قررت أن تفرض فهمها وسطوتها على الناس، والتّشنيع بهم وفق ما تصفه بتطبيق الشريعة فحسب، بل هي منظمة صنعتها أجهزة استخبارات عالمية لتألّع دوراً معلوماً، وقد نفذت المطلوب منها، وما زالت كما ينبعي وزيادة. وهي بكل تفاصيلها وإمكاناتها مرصودة، وفي مرمى قوى الغرب، دون أدنى شك. إذًا، فلننفق على أن قتالها أمر يسير، وإنها وجوهها أمرٌ أيسّر منه. وهذا ملّ معقد بسبب غياب توصيف دقيق لهذا التصنيف، دون تعرّيفات واضحة. 'إرهابي' أطلقت أصلاً للاستخدام السياسي في كثير من الحالات. فكلمة 'إرهاب' استخدمها الغرب ضد بعض حركات التحرّر المُحقّقة، كما أن السلطات قد تستخدمه في التّنبل من من يعارض سياسياً. وأعتقد أننا، على الأقل في سوريا الجديدة، يجب أن نضع له تعريفاً واضحاً، لكي لا يُساء استخدامه. الأمر الآخر: نحن أيضاً لا يمكن أن ننكر أن التطرف قد تغلّغ في صفوف بعض الشباب، وذلك ليس بسبب الفهم الشاذ للنصوص والفتواوى فحسب، وإنما بسبب البيئة التي أفرزت هذا التطرف: من مجازر فلسطين إلى احتلال العراق، ثم آلة القتل والإجرام والإبادة في سوريا بحق المسلمين، التي لم تتوقف، ولم تُحاسب، بل دُعمت، وجل القرارات الدوليّة فشلت في إيقافها - إن لم نقل وُضِعَت لحمايتها. أي شاب أو رب أسرة، إذا أمن له فرصة عمل، ودخل كافٍ، وسكن كريماً، وكراماً مُصانة، سيصبح - غالباً - شخصاً عاقلاً ومتوازاً. وهذا الملف، معالجته تتطلب عدالةً ناجزة، وتوجيهها، وفرضها، وهو - حسب ما أرى - من أهم الملفات التي يمكن أن تُسهم في النهوض والبناء، والعودة التدريجية إلى الاستقرار والازدهار لأهل المنطقة.

#### 13- الاتفاقيّة متضمنة تحالفاً عسكريّاً مع الغرب، فهل هذا مغطىً شرعاً؟

المسألة معتقدة، وفيها ما فيها من الآراء، ولن أدخل بهذه التفاصيل. لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل الاتفاقية معزولة عن المشهد السياسي منذ التحرير وحتى اليوم؟ أم هي من صلب المشهد؟ وهل خيارات القبول والرفض فيها محدودة جدًا؟ وهل لها علاقة بالاستقرار والتنمية والاستثمارات وإعادة الإعمار؟ أم هي طارئة على المشهد؟ أما ما يمكن أن أقوله لقيادتنا الجديدة، والفريق الذي يعمل، والدعاة والعلماء: علينا أن نفهم ونتفهم الطرف السياسي الإقليمي والدولي، ولا نحاول البحث عن فتاوى ونصوص لإضفاء شرعية إسلامية على اتفاقيات ومعاهدات يفرضها القوي على الضعيف؛ لكي لا نقع في استخدام الدين للدنيا. في عالم مليء بالمادية والمصالح والشبهات، وأن نسعى جهداً لعدم الوقوع في أحابيل الأعداء، فنكون ضمن أدواتهم المستخدمة لصالح مشروعهم الاستعماري. وأفضل ما يمكن فعله هو التزام قول الله تعالى: **(فَإِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ)**.

**السؤال الأخير: 14- مارؤيتك لمستقبل منطقتنا وأمتنا الإسلامية؟ وهل من نصيحة للدعاة وطلبة العلم وعوم المسلمين في العالم؟**

المستقبل بيد الله أولاً، ونحن نتفاعل بإيماننا أنه لا غالب إلا الله، مهما علا الباطل وازدهرت شعاراته فهو إلى زوال. ولو تكلمت عن المستقبل بإيجاب فستجد من سيتكلم عنه بالسلب والعكس بالعكس، وهكذا هي سُنن الله في كونه: صراع الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة. أما رسالتي للدعاة وأهل العلم، فهي أن يتقدموه الواقع أقدامهم، وفي أي جانب من جانب الصراع يقفون، وذلك لعظم مسؤولية الكلمة التي تصدّر الحملها فهم ملّح البلد وقوامها، ولم يتبق للناس من مراجعات فكرية ثابتة سوى الدين الخالص، وهو الحق المطلق لأنه وهي السماء. وعليهم بناء الإيمان الخالص والعقيدة الصحيحة في نفوس الناس، والتركيز على هذا الأمر بشكل كبير؛ لأنه إن صحّت العقيدة صحّ العمل، وإن فسدت فسد العمل، وأن نخفّف القول ونُكثّر من العمل، وألا يرانا المدعو على غير ماندّعو إليه. أما رسالتي للأمة، فهي الآية التي وردت في كتاب الله على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: {وأوصاني بالصلة والزكاة ما دمت حيًّا}، وهي ملخص الإيمان والعمل، فالعبادات هي علاقة بالخالق والتزام بمنهجه الذي ارتضاه لعباده وفق الكتاب والسنة الصحيحة، والإحسان إلى المخلوق من خلال العمل الصالح من نصح وبذل وعطاء، وبذلك تُسعد وتُسعد في الدنيا، وننال العفو والفوز بالجنة في الآخرة.

نوجّه بخالص الامتنان إلى فضiliاتكم على سعة صدركم وكرم وفتقكم، لما تفضلتم به من حوار ثريٍّ قيم أضفى وعياً وفائدة.

المصدر: موقع مجلة إشرافات